المقاومة الفلسطينية في رواية «ذاكرة زيتونة» لسهاد عوني عبدالهادي

الملخّص

يشير أدب المقاومة عادة إلى الأعمال الّتي تخلق تحت تأثير ظروف مثل الاختناق والاستبداد الداخلي، ونقص الحريّات الشخصيّة والاجتماعية، والخروج على القانون، والصّراع مع قواعد السلطة، واغتصاب السلطة والممتلكات والأرض.يدعو هذا الأدب إلى مواجهة الظلم و القهر، سواء أكان مصدرهما داخليّاً أم خارجيّاً. كان للشّعر العربي مركز الصّدارة فيه ولكن لم يلبث أن جاءت الرواية وحظيت بإقبال شعبي فاتّخذها الأدباء والكتّاب المعاصرون وسيلة لتشجع المقاومين على المقاومة و الصّمود.وتقدّمت المرأة الفلسطينية في كتابة روايات المقاومة الفلسطينية تقدّماً ملحوظاً.نذكر منهنّ سحر خليفة، عفاف خلف و سهاد عبدالهادي التي كتبت رواية "ذاكرة زيتونة" والتي تناولها هذا المقال المتواضع بالبحث.

يجيب البحث الحالي، الذي قدّم بالمنهج الوصفي- التحليلي وفي سياق الدراسات المكتبية، على هذا السؤال الرئيس وهو كيف تعكس رواية ذاكرة زيتونة عناصر أدب المقاومة الفلسطينية؟ وبحسب نتائج هذا البحث، قد نجحت الكاتبة في تصوير نهب الممتلكات الشعبية وقتل النّاس وإثارة الرعب بشتّى الطرق وعدم امتلاك الأسلحة والعتاد للقتال والدّفاع عن الشعب ضدّ الغزاة.

الكلمات الدليلية: الأدب العربي، الرواية، أدب المقاومة، سهاد عبدالهادي، ذاكرة زيتونة.

١. المقدّمة

١-١. مسألة البحث

الأدب هو أحد أشكال التعبير عن عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره ويتفرّع إلى الأدب الشعري والنثري وهذا الأخير له أشكال متنوّعة منها المقالة، المقامة والقصّة الّتي تنقسم إلى الحكاية والأقصوصة والقصّة بشكليها القصيرة والطويلة التي سمّيت بالرواية. فالرّواية هي أكبر أنواع القصص من حيث الطّول وحجم الصفحات وإضافة إلى هذا إنّها تتّسع من حيث البعد الزمني فيستغرق عمر البطل كلّه.هذا إميل يعقوب، عرّفها بأنّها قصّة طويلة تعني موضوعاً من موضوعات الإنسان ومن أنواعها السياسيّة والتأريخيّة والنفسيّة و... (يعقوب، ١٩٨٧م: ٢١٨).

والأدب (ومنها الأدب الروائي) الّذي تمّ إنشاؤه تحت تأثير ظروف مثل الاختناق والاستبداد، الحرمان من الحريّات الفردية والاجتماعية، الاحتلال واغتصاب الأراضي ونهب العواصم الوطنية، للوقوف ضدّ التيّارات الداخليّة والخارجيّة، هو أدب المقاومة و يشار إليه بتعابير أخرى مثل أدب الدّفاع أيضاً.تعتبر هذه الأدبيّات ذات قيمة؛ لأنّها ردّ فعل طوعيّ ضدّ عدوان الأعداء الداخليين والخارجيين. وقالوا إنّ أدب المقاومة هو نوع من الأدب الملتزم الّذي ابتكره قادة الفكر المجتمعي ضدّ ما يهدّد حياتهم الماديّة والروحيّة، والغرض منه منع انحراف الأدب والمساعدة في تطوّره وازدهاره (البصيري، ٢٠٠٨: ٢٦)

كلّ من الأدب الملحمي أو الملحمة، أدب الحرب، الأدب السياسي والاحتجاجي و الأدب النقدي من وجهة نظر كثير من النقّاد يقع ضمن مجموعة أدب المقاومة.هذا يعني إنّ أدب المقاومة ليس فقط أدباً ملحميّاً أو احتجاجيّاً أو سياسيّاً أو نقديّاً، ولكن أدب المقاومة له قواسم مشتركة واختلافات مع الآداب المذكورة (جهانجرد، بي تا: ١٥).

لأدب المقاومة عناصر ومقوّمات ذكرها الباحثون منها رسم معاناة النّاس ووجوههم المظلومة، الدّعوة للنّضال والمقاومة والقتال، وصف جرائم المعتدين وهيجانهم وأعمال الشغب، وصف الموتى والشهداء ومدحهم، غرس الأمل بالمستقبل المشرق، الإشادة بالحرية، الإشادة بأرض الآباء والإكثار

من كلمات وتعابير من مثل أرضي، أرضنا وأرض آبائنا وأجدادنا وإنّه وطني وتاريخي وغيرها من الكلمات والتعبيرات وأخيراً استعمال الرّموز الأسطوريّة. هذه الأدبيات غالباً ما تكون واقعيّة. والواقعيّة لديها أكبر الالتزام تجاه البشر– في واقعها التاريخي الملموس– لأنّها مرتبطة مباشرة بالنّاس وقضاياهم ومصيرهم.

يشير أدب المقاومة إلى القصائد والقصص والمسرحيّات والأناشيد والأغاني والمؤلّفات الّتي تمّ إنشاؤها في فترة معيّنة من تاريخ أمّة أو قبيلة، والغرض منها خلق روح النّضال والاستقرار لدى النّاس.عادةما يتمّ إنشاء هذه الأعمال في فترة معيّنة، وإذا تمّ تقديمها بشكل فنّي، فإنّها تخرج من النّطاق الضيّق للأدب العرفي والوطني وتبقى كتحف أدبية ذات صبغة دوليّة (ميرصادقي، ١٣٧٩: ٢١). وهذه الأدب يعود أصله إلى المجتمع وهو مجموعة من الأعمال الأدبيّة الملتزمة الّتي ظهرت من أجل خلق دافع في المجتمع للحفاظ على هويته ضدّ عوامل التهديد.في هذا التعريف، هناك أربع كلمات رئيسة وهي عوامل الالتزام، التحفيز، الحفاظ على الهوية والعوامل المهددة (سنجري، ١٣٩٣: ٤٥).

كانت الأمّة الفلسطينية تحت سيطرة العثمانيين من عام ١٩١٧م إلى عام ١٩٤٨م ثمّ خضعت للنير البريطاني.خلال هذه الفترة، كتب الكتّاب والمفكّرون الفلسطينيون في أعمالهم الأدبية، والتي كانت في الغالب على شكل الشعر، ضدّ العثمانيين والبريطانيين وأدانوا هيمنتهم واضطهادهم؛ وبالطّبع الحكّام العرب و القادة لم يأخذوا قضيّة فلسطين على محمل الجدّ.وعندما تمّ تغيير إسم فلسطين إلى إسرائيل عام ١٩٤٨م، أدرك الشعب الفلسطيني بشكل خاصّ والمجتمع العربي بشكل عامّ عمق الكارثة. لقد حدثت حرب ١٩٦٧م وهزيمة العرب من إسرائيل، وخلال هذه الحرب المهينة احتلت الصّهاينة أجزاء من سوريا والأردن وصحراء سيناء وغزّة. تعتبر هذه الحرب (هزيمة حزيران ١٩٦٧م) نقطة تحوّل في الأدب الفلسطيني. فيمكننا أن نقسّم أدبيات المقاومة الفلسطينية إلى ثلاث مراحل التالية:

1. المرحلة الأولى هي الحكم العثماني في سوريا؛ و في هذه المرحلة سيطر العثمانيون على سوريا في القرن السّادس عشر واحتلوا فلسطين، التي كانت جزءاً من سوريا.

2. المرحلة الثانية هي الحماية البريطانية لفلسطين؛ والتي تمّت عام ١٩٢٢م وفق خطّة الأمم المتّحدة. ومنذ ذلك الحين، بدأت خطّة دخول اليهود إلى أرض فلسطين وذلك من جميع أنحاء العالم.جدير بالذكر إنّ العرب يعتبرون- بحقّ- الصهيونية حليفاً للإمبراطورية الإنكليزية التي طرحت شعار فلسطين يجب أن تصبح يهوديّة كما هي إنكلترا إنكليزية و ذلك بسبب أنّ الصهيونية تشكّل قوّة تقف في وجه التيّار القومي للعرب (علوش، ١٩٧١م: ١٢).
3. المرحلة الثالثة هي إقامة النظام الإسرائيلي والطرد العلني للعرب الفلسطيني من أرض فلسطين؛ وبهذه الطريقة سيطرت إسرائيل على معظم مناطق الأرض الفلسطينية وتحوّلت مناطق كثيرة من مثل عسقلان وعكا وتل أبيب وحيفا وغيرها من المناطق الفلسطينية بالكامل إلى مناطق استيطانية يهوديّة.

لقد كانت الصهيونية كياناً استعمارياً وحليفاً مخلصاً للإمبريالية العالمية وكما قال الكيّالي لولا دعم الإمبراطورية البريطانية للحركة الصهيونية لما كان من الممكن إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ولولا الدعم الأمريكي لما ن كان من الممكن تنفيذ المؤمرة الكبرى (الكيّالي، ١٩٧٣م: ١٨).

المقاومة الفلسطينية إنّها أحيت القضيّة الفلسطينية المرشّحة للنسيان وجدّدت حيويّة الشعب الفلسطيني بعد سنوات عديدة من النسيان والهوان ثمّ إنّها أيقظت الجماهير العربية من حيرتها وذهولها بعد هزيمة حزيران وأخيراً أحدثت نقلة نوعيّة في أساليب الكفاح فمن النّضال السياسي إلى القتال المسلّح ومن حركة الحزب إلى حركة الجماهير العربية والإسلاميّة (علوش، ١٩٧١م: ٥)

٢-١. أسئلة البحث و الفرضيّات

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدّة أسئلة رئيسة هي:

1. ماهي أهمّ القضايا أو المعالم المتعلّقة بالمقاومة، الّتي تناولتها الكاتبة الفلسطينية في رواية ذاكرة زيتونة؟
2. أيّ من المعالم أو القضايا المذكورة، لفت نظر الكاتبة واحتلّ حيّزاً واسعاً من رواية ذاكرة زيتونة؟

3. كيف صوّرت الكاتبة، شخصيّة العدوّ وأعماله في رواية ذاكرة زيتونة؟

والمفروض في البحث هو:

1. الجهاد والصّمود أمام العدوّ الصهيوني مع نقص جدّي في الأسلحة والعتاد من أهمّ قضايا أدب المقاومة الفلسطينية.
2. تحتلّ المقاومة أمام العدوّ وعدم ترك جبهة المقاومة حيّزاً واسعاً من رواية ذاكرة زيتونة.
3. قدصوّرت الكاتبة سهاد عبدالهادي المحتلّين تصويراً واقعيّاً واصفة أعمالهم الهمجيّة في استخدام النّاس كدروع بشريّة وسرقة ممتلكات الشّعب الفلسطيني المظلوم والإخلال بأمن الفلسطينيين.

۳-۱. خلفيّة البحث

إنّ الدراسات الّتي تناولت المقاومة عامّة والمقاومة الفلسطينية خاصّة، كثيرة جدّاً وقد كتبت بأشكال مختلفة منها الكتب والمقالات والأطروحات الجامعيّه والتقارير الصحفيّة، في جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي منه ولايمكن عدّها في هذا المقال القصير. فكتب عبدالوهاب الكيّالي، المقاومة الفلسطينية والنضال العربي وناجي علوش، المقاومة الفلسطينية: الواقع والتوقّعات وغالي شكري، أدب المقاومة و أخيراً غسّان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة.بالرغم من كثرة المؤلّفات والدّراسات في أدب المقاومة الفلسطينية إلّا أنّنا لم نعثر على مقال أو بحث مستقلّ يدرس رواية ذاكرة زيتونة لسهاد عبدالهادي.

۲. المفاهيم و التعاريف

۲-۱.الرواية العربية و عناصرها

الرواية هي فنّ أدبي حديث الظهور، أطول من القصّة، تتميّز بسردها لمجموعة كبيرة من الأحداث بأسلوب نثري.تتميّز بعنصر التشويش حيث تجعل القارئ يغوص في عالمها، ويعيش الحدث بشكل مستمرّ.تجذّرت جذورها تدريجياً في الأدب العربي منذ بداية القرن العشرين، وهي تعتبر اليوم من أكثر

الأنواع الأدبية رواجاً في المجتمعات العربيّة وفي العالم بأسره. هي قصّة طويلة يبدعها المؤلّف بناءً على معلوماته الحقيقية والموضوعيّة عن الشّخصيّات الّتي تلعب دوراً في القصّة التاريخية والدّينية والعاطفية والشرطية وغيرها بمساعدة خياله وقوّته الفنيّة. في الوقت نفسه، يصف ويحلّل الحالة المزاجية والكلام والأفكار للشخصيّات المعنيّة (رزمجو، ١٣٨٢: ١٨٦). وقدّموا تعريفات أخرى للرواية؛ فقالوا: إنّ الرّواية هي وصف للحياة وكتابة في النثر تروي قصّة واسعة نسبياً ومليئةً بالمغامرة وتتكوّن من عناصر مثل الصّراع والشخصيّة والحركة والمشهد والحبكة والنتيجة (نيك روش، ١٣٩٢: ١٩).جديد بالذكر هناك آراء مختلفة حول عناصر الرواية. غالباًما يُنظر إلى أنّ العناصر الرئيسة هي التخطيط والتوصيف والحبكة أو العقدة وخلق أزمة والوصول بها إلى ذروتها وأخيراً تفكيك العقدة (المرجع نفسه: ٢٦).

٢-٢.عناصر الرواية

على كاتب الرواية الناجحة المتكاملة أن يضمّنها بعدد من العناصر، من أبرزها الأحداث، الشخصيّات، الزمان، المكان، سرد الحوارات، زاوية الرؤية والحبكة (العقدة).إنّ الحدث جملة من الانتصارات والانكسارات وسلسلة من الأفعال الّتي تنجزها الشخصيّات وهذه الأحداث بتنوّعها وتطوّرها تخوض بالقارئ في الرواية (وادي، ١٩٩٤م:٢٨).الحدث يرسم حالات الشخصيّات ومواقفهم ويكون لكلّ حدث بداية ونهاية؛ ثمّ الشخصيّات، يعدّ هذا العنصر من أهمّ العناصر التي تقوم الرواية بها ولاغرو أنّ وجود الرواية تابع من الشخصيّات.تقوم الشخصيّات بلعب أدوار مختلفة في الرواية، ولكلّ شخصيّة دور يؤدّى إلى هدف معيّن، وتتنوّع الشخصيّات في الرواية؛ فمنها الشخصيات الرئيسية كشخصية البطل، وهناك الشخصيّات الثانوية والتي تؤدّي أدوار محدودة في الرواية، وعلى الرغم من ظهورها القليل إلّا أنّها تلعب دوراً كبيراً في مسار الرواية، ويستمدّ الكاتب شخصياته من خياله و ذهنه الوقّاد، أو من الأساطير القديمة أو من القصص التاريخية أو من واقعه الذي يعيش فيه.

فتكون شخصيّات الرواية خيالية أو حقيقية بتغييرات يسيرة في الأسماء.وفي معظم الأحيان يواجه البطل عدداً كبيراً من المخاطر والتحديّات وينجح في النهاية في تجاوز المصاعب والقضاء على عدوّه؛

وتكون شخصية العدوّ إحدى الشخصيّات الرئيسة والتي لا تقلّ أهمية عن شخصية البطل، ويلعب العدوّ دوراً كبيراً في حياكة المؤامرات ضدّ البطل.

إنّ الشخصيّة في الرواية من حيث تكوينها نوعان: نامية متطوّرة ومسطّحة ثابتة.النامية المتطورّة هي التي لاتبدو للقارئ في الصّفحات الأولى بل تتكشّف شيئاً فشيئاً وتتطوّر بتطوّر الرواية وأحداثها تنمو مع تغيّر الأحداث؛ والمسطّحة الثابتة هي الّتي لاتكاد طبيعتها تتغيّر من بداية القصّة حتّى النهاية (وادي، ١٩٩٤م: ٢٧).وللشخصيّة المسطّحة الثابتة فائدة كبيرة. فإنّها كما قال محمّد يوسف نجم في فنّ القصّة، يسهّل للكاتب فلايحتاج إلى تقديم وتفسير (لا القارئ ولا الشخصيّة) والقارئ يجد في مثل هذه الشخصيّات بعض أصدقائه ومعارفه الذين يقابلهم كلّ يوم (نجم، ١٩٧٩م: ١٠١).

يختار الكاتب في الأدب الروائي الواقعي شخصيّاته من واقع حياته ويجعل في أبعادها الجسميّة، الاجتماعية والنفسيّة ما يناسب أغراضه من كتابة الرواية. فالبعد الجسمي يمثّل في صفات الجسم من طول وقصر، بدانة ونحافة، ذكر وأنثى، إسم ولقب وإلخ من الصفات والبعد الاجتماعي يمثّل في انتماء الشخصيّة إلى طبقة اجتماعية خاصّة وفي نوع العمل الذي تقوم به الشخصيّة والبعد النفسي يمثّل في آمال الشخصيّة ورغباته النفسيّة وانفعالاته من هدوء أو حدّة (مريدن، ١٩٨٠م: ٢٩ بتلخيص و تصرّف).

ومن عناصرها، الزمان و المكان اللذان تجري فيهما الأحداث وتتحرّك الشخصيّات خلالهما، لهما أهميّة كبيرة في الرواية؛ وأخيراً الحبكة وهي المشكلة الكبرى الّتي يواجهها بطل الرواية ويسعى لحلّها هي بداية الصّراع ونهاية الصراع هي نهاية الحبكة (شوندي و كريم، ١٣٩٠ش: ٥٦).

٣-٢. الرواية الفلسطينيّة

الرواية الفلسطينية مثال بارز على هذا النوع من الأدب الذي تقدّم ذكره و نمت في ظلّ الاحتلال الصهيوني وعكست معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد ونضاله ومقاومته ضدّ الغزاة المحتلّين.

للفلسطينيين والفلسطينيّات نصيب وافر من كتابة الروايات الفلسطينيّة و تطويرها.فكتبت **سحر خليفة** روايات "الصبّار"، "الميراث"، "مذكّرات إمرأة غيرواقعيّة"، "باب الساحة" و"صورة ايقوتة والعهد القديم". تدور الروايات حول الخلافات بين المحتلين الإسرائيليين والفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى.رواية "صورة ايقوتة والعهد القديم" هي قصّة حبّ لم تتحقّق بين فتاة مسيحية وفتى فلسطيني. حصلت سحر خليفة على جائزة نجيب محفوظ من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عن هذه الرواية.وهناك في عام ٢٠٠٤ أصدرت رواية"ربيع الحارّ".

ثمّ **عفاف خليفة** التي ولدت في مدينة نابلس بفلسطين وحصلت على إجازة في الأعمال المصرفية من جامعة النجاح وهي من خلال دراساتها المكثفة في الأدب العربي، تحوّلت إلى كتابة الرواية،كتبت رواية "لغة الماء" و هي من أهمّ رواياتها. وآخر رواياتها هي «ما تساقط» التي نشرتها دار الفينق في ٣٦٩ صفحة.

ثمّ **غسّان كنفاني** روائيّ فلسطينيّ آخر كتب رواية "رجال في شمس" وخلط فيها بين الواقعيّة والرمزيّة بتصويره لحياة أربعة رجال فلسطينيين هم أبوقيس، أسعد، مروان وأبوالخيزان؛ كما كتب رواية "برقوق نيسان" وعرض فيها صورة لفتاة فلسطينية اسمها سعد وقاد. وفي رواية "أمّ أسعد" صوّر إمرأة فلسطينية مجتهدة تعمل في بيوت النّاس وكتبت كنفاني روايات أخرى منها رواية "ما تقي لكم" و"عايد على حيفا".

ثمّ **رشاد أبوشاور** كتب رواية "العشّاق" وحصلت بكتابتها على جائزة محمود سيف الدين الإيرانيّة وصوّر فيها معاناة ثلاثة أجيال من الأجيال الفلسطينية كما كتب روايات "البكاء على صدر الحبيب" و"أيّام الحرب و الموت".

ثمّ **إميل حبيبي** روائي ومسرحيّ فلسطيني من ألمع كتّاب العرب في فلسطين المحتلّة. له رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي نحس المتشائل" وهي رواية كما يقال ملأت بصداها الآفاق من الغرب إلى الدّول العربية وما عتّم أن ترجمت إلى ثمانية عشر لغة حيّة (فرهنك نيا وبورحمدانيان، ١٤٤٠ق: ١٦٨) كما كتب رواية "خرافية سرايا بنت الغول".

و أخيراً **سهاد عوني عبدالهادي** بروايتها "ذاكرة زيتونة" التي تناولها هذا المقال بالبحث و الاستقصاء؛ إن شاء الله تعالى.

۲–۴. سهاد عوني عبدالهادي وأعمالها

ما لدينا معلومات كثيرة عن حياتها اللّهمّ إلّا نعلم أنّها ولدت عام١٩٤٠للميلاد في مدينة نابلس بفلسطين.درست في مدرسة عائشيّه واستكملت دراساتها الجامعيّه في جامعة دمشق في الفلسفة.لديها دراسات جيّدة في الأدب العربي كما لديها مهارة في كتابة الرّوايات والمسرحيّات. "ماريا أنثي" (أو المرايا النسائية) آخر أعمالها الرّوائية.

۲–۵. رواية ذاكرة زيتونة

تبدأ القصّة بجملة «بعد انقضاء ليلة مِنْ ليالي تِشْرين الأوّل الباردة تَسَلَّلَتْ خُيوطُ الشمس الدافئةُ إلى وراء الغُيوم ...» (عبدالهادي، ۲۰۰۷م: ۷) الملاحظ أنّ كلمات انقضاء، ليلة، ليالي، الباردة، تسلّلت، وراء و الغيوم تعطئ القارئ نوعاً من الشعور باليأس والكارثة والبلاء.

الشخصيّة الرئيسة في القصّة تدعى «سهر» وهي شخصيّة مسطّحة ثابتة وليست بشخصيّة نامية متطوّرة.من الممكن أن تعمّدت الكاتبة في استخدام لفظة سهر إسماً للشخصيّة الرئيسة، وهي لفظة ترمز إلى اليقظة والصّمود(منصوري كلير و الزملاء، ١٤٠٢ش: ١١٣). تستيقظ وفي الفراش ترفع وتخفض جفونها عدّة مرّات وتتثاءب.إنّها يعيش وحدها في مبنى شاهق. في بيت بارد بدون ضوضاء للأطفال. طلّقها زوجها وذهب إلى أستراليا بنفسه. تستيقظ سهر قرابة الثامنة ويتابع أخبار السّاعة الثامنة مثل الكثير من الفلسطينيين.معظم الأخبار تحتوي على حرب ومصائب ودمار وقتل للفلسطينيين. ماذا ستكون الأخبار غير هؤلاء؟ كأنّ نصيب الشعب الفلسطيني من الأخبار ما هو إلّا خبر مرير، وما مصيره إلّا شقاء وجراح وسراب.

تلقت سهر ذات يوم دعوة من إبنة عمّتها دَعْد.دعتها دعد إلى الإمارات العربيّة المتحدة.دعد هذه قد استثمرت أموالها في مركز تجميل للنّساء مستخدمةً متخصّصات عرب وغيرعرب من الدّول الشيوعيّة ومن إيطاليا.

كانت سهر مترددة في قبول دعوة دعد، لكنّها قرّرت أخيراً السفر إلى الإمارات العربية المتحدة و زيارة دعد.فذهبت إلى أحد مكاتب السياحة و قامت بإعداد تذكرة سفر.في الجزء الخامس من الرواية قد أعلنت المؤلفة وصول سهر إلى الإمارات.أقامت دعد مراسم حفل مفصّل في أحد الفنادق الجميلة في الشارقة بمناسبة وصول سهر إليها.كانت سهر مسرورة جدّاً وكأنّها كانت قد نسيت كلّ آلامها وحتّى فلسطين.في صباح اليوم التالي، عندما كانت تتناول الإفطار مع مضيفتها، بثّ تلفزيون الشارقة برنامجاً عن المواجهة بين الشباب الفلسطيني والإسرائيلي.وكأنّ الكاتبة لاتريد أن تترك سهر تنسى فلسطين وكأنّها تريد من سهر ألّا تنسى فلسطين مهما أمكن لها.تأخذ سهر المجلّة الّتي كانت على الطاولة وتنظر إليها. رأت في احدى صفحاتها عنواناً حول اعتقال سفينة تحمل أسلحة و فرح الاسرائيليين الصهاينة.

صحبت سهر، دعد إلى القاعة حيث أقيمت ليلة الشعر العربي.غادر كثير من النّاس القاعة و ابتعدت دعد من سهر لعمل‌ما.بعد مغادرة دعد، فكّرت سهر في البحث عن مواطن لإجراء محادثة قصيرة معه.فذهبت إلى الطاولة حيث كان هناك جميع أنواع الأطعمة والمشروبات وأخذت قطعة حلوى وكوباً من الشاي.فالتقت بفتاة صغيرة كانت ترتدي بلوزة ضيّقة حسب الموضة، وكان شعرها الطويل حلزوني الشكل على وجهها، بالإضافة إلى أنّها رسمت عينيها بالورنيش البني الغامق وشفتيها. تلك الفتاة الصغيرة استقبلت سهر وفتحت المحادثة وقدّمت نفسها بإسم "مَها".

في الصفحة ٣٣ من الرواية، تدخل مَها الشخصية الأصلية الثانية إلى القصّة.من الآن فصاعداً، ستكون مها حاضرة في القصّة جنباً إلى جنب مع سهر.لكنّها في نهاية القصة تملك زمام القصّة بين يديها وحدها.ينتهي دور سهر وينتقل الدّور الأول إلى مها وتنتهي القصّة بكلماتها وعزماتها.وأمّا مها هي طالبة في العلوم السياسية والاقتصاد وكاتبة المقالات في إحدى المجلات الاجتماعية الإماراتية.

اجتمعت سهر مرة أخرى مع مها في احتفال أقيم بحضور متخصّصات من إيطاليا وطلبت دعد من سهر أن تقيم هناك في الإمارات وتعمل عندها.رفضت سهر اقتراح دعد وقرّرت العودة إلى نابلس في أوّل فرصة «لتعيش آلام الوطن الفلسطينى و آماله» (عبدالهادي، ٢٠٠٧م: ٤٩) على حدّ

قولها. من هنا فصاعداً (أعني من الصفحة ٥٧ فصاعداً) يبدأ دور مها.خصّصت الكاتبة نصف حجم القصة لسهر والنصف الآخر لمها.إنّ مها على الرغم من معارضة والدها، سافرت إلى نابلس لرؤية المدينة والتّعرف على معاناة النّاس المظلومين الذين وصفتهم سهر لمها من قبل.

سافرت مها إلى نابلس نهائيّاً والحافلة الأردنية دخلت المنطقة تحت إشراف الإسرائيليين المحتلّين. كانت مها جالسة بجانب إمرأة فلسطينية في منتصف العمر.عندما أدركت المرأة أنّ مها غريبة، قالت لها:هل حصلت على تأشيرة دخول من السّفارة الإسرائيلية؟ أجابت مها: نعم.عندئذ نأت المرأة بنفسها عن مها.تصل الحافلة التي تسقلّ المسافرين الفلسطينيين عند المحطة الأولى والتفتيش.توقّفت الحافلة لمدّة عشرين دقيقة كاملة.كان الوضع داخل الحافلة غيرمريح.الأطفال كانوا يصرخون وبعض كبار السنّ يدخّنون السيجارة.نظر بعض الركاب إلى الجنود الإسرائيليين وقالوا لأنفسهم: «يا ربّ، الفرج من عندك» (نفس المرجع: ٦٠). ومنهم من سئم من هذا الوضع وقال:«إلى متى سنبقى سجناء في بلدنا» (نفس المرجع: ٦٠).

وأخيراً وصلت السيارة التي تستقلّها مها إلى نابلس. كانت شوارع نابلس مهجورة. تقول مها واصفة شوارع نابلس: «عَبَرَتِ السّيارةُ شوارعَ نابلس الموحشة الّتي بَدَتْ كأنَّها لاحياةَ فيها حتّى العمارات السَّكَنيّة و المحالات التجارية بَدَتْ خاويةً ... » (نفس المرجع: ٨٨)

تأتي سهر بسيارتها وتأخذ مها معها إلى منزلها.مها، التي كانت تنظر إلى معالم المدينة في الطريق ولم تر شيئاً سوى الدّمار والخوف، أصبحت فجأة قلقة على سهر وقالت لها: اعتني بنفسك.جاء الليل وكان النّاس في حالة تأهّب. كانت الأنوار مطفأة ولم تكن هناك سيّارات في الشوارع. يرنّ الهاتف فجأة. قداتّصلت سميرة وهي صديقة سهر وأبلغت سهر ببعض الأمور الّتي تسبّبت في قلق سهر. في الصباح الباكر، نقل الخبر إلى آذان مها.بحسب الأخبار، دخلت الدّبّابات الإسرائيلية مدينة نابلس قبل ربع ساعة وهي تتقدّم و تتقدّم. قيل إنّ الجنود الإسرائيليين لقد وصلوا إلى ساحة الشهداء التي كان بيت سهر يطلّ عليها.

في اليوم الثاني من الهجوم انقطعت الكهرباء؛ لكنّ الهاتف كان يعمل. اقترحت سهر على مها إبلاغ عائلتها بصحّتها. لأنّ أخبار الهجوم الإسرائيلي على نابلس سينشر عبر وسائل الإعلام ومن المحتمل أن تشعر أسرة مها بالتشويش والقلق. وأخيراً وصلت قوّات الاحتلال إلى المنزل الذي كانت سهر و مها تسكنان فيه.حبس الإسرائيليون النّساء والأطفال في إحدى الغرف والرّجال في غرفة أخرى. في الغرفة التي كانت فيها النّساء والأطفال، كان هناك عشر نساء، وسبعة فتيان وبنات، واثنا عشر طفلا وفقاً لما وصفت الكاتبة وكانت هناك ثلاث مجموعات من الأشخاص في الغرفة:

١- مِنْهُم مَنْ كان خائفاً مُتَشائماً

٢- منهم من كان على يقين مِنْ سحق المقاومة

٣- و غالبيتهم كان متفائلاً بما سيأتي به الغَدُ (نفس المصدر: ١٠٤)

تترك مها نابلس بمساعدة من أبيها و تدخّل من السفارة البريطانية و ترحه إلى الإمارات الآمنة.

قدتغيّرت مها بعد زيارة نابلس ورؤية ما يعانيه الشعب الفلسطيني المظلوم تغيّراً رئيساً.كان من المفترض أن تتزوج مها من رجل إسمه جاسم، حسب قرار والدها مع والده ولو تمّ هذا الزواج، لكانت مها قد حقّقت السّعادة المالية. لكنّها لم تك مها الإبنة السابقة التي ماكانت تفكّر في فلسطين المحتلّة وشعبها المظلوم.كانت أقاربها يقولون لها: أتركي هذا الوطن وهذه الأمّة (نفس المرجع: ١٢٦).كانت مها مرتبكة للغاية وفي النهاية توصّلت إلى أنّ جاسم لن يمنحها سعادة حقيقية. والسعادة التي سيقدّمها هي تغمض عينيها عن هويتها و تلغي عقلها. تنتهي القصة بجملة « أطْفأت الأنوار وغطّت في سبات عميق» (نفس المرجع: ١٢٧).

٣. عرض الموضوع : تجليّات أدب المقاومة في رواية ذاكرة زيتونة

١-٣. التفتيش المهين و سدّ الطّرق من قبل المحتلّين

كانت إحدى المشاكل التي كان الشعب الفلسطيني يعاني منها هي مسألة التوقف والتفتيش الصارمة والمستهلكة للوقت. تطلب الجنود من الركاب فتح حقائبهم فيرمون متعلّقات الرّكاب الشخصيّة على الأرض وفي المرة القادمة يقومون بإجراء تفتيش جسدي مهين للرّجال والنّساء فقال أحد الرّكاب كما

رواية ذاكرة زيتونة: «وصلت الحقارة لهذا الحدّ» (نفس المرجع: ٨١).هناك عدّة أسباب لهذا التوقف والتفتيش. منها:

1. خوف جنود الاحتلال من قوى المقاومة
2. إزعاج النّاس وخلق حالة من عدم الرضا
3. عرقلة النقل و التجوّل.

عندما وصلت مها إلى السّيارات في نابلس، نظرت إلى ساعتها ورأت أنّها قطعت المسافة بين عمّان وأريحا، وهي ٧٠ كيلومتراً، في خمس ساعات، وفي هذا الوقت كان يمكن أن تسافر إلى لندن بالطّائرة.لاحظت مها، التي كانت في طريقها إلى نابلس مع ركاب آخرين، أنّ السيارة تسير على طريق ترابي وعر. هذا في وقت كان هناك طريق مسفلت على بعد أمتار قليلة ورأت بأمّ عينيها أنّ بعض السّيارات كانت تسير على ذلك الطريق المسفلت.

هذه الأعمال التي كانت الصهاينة يعتبرونها أمنيّة تؤدّي إلى :

1. انزعاج المسافرين
2. تآكل السّيارات و استهلاكها
3. جعل الطريق طويلة فتستغرق الرحلة التي تستغرق ساعة عدّة ساعات.

٢-٣. سرقة ممتلكات الشعب الفلسطيني المظلوم

تروي سهر قصصاً لإثبات نهب المستوطنين اليهود و سرقاتهم بشكل عامّ والحكومة الغاصبة لإسرائيل بشكل خاصّ.حكت سهر لمها أنّ فلسطينياً في منتصف العمر كان يرعى أغنامه عندما أخذ المستوطنون خروفه وحماره الوحيد تحت تهديد السّلاح. اشتكى فاقتادته قوّات الاحتلال إلى داخل المستوطنة اليهودية.يرى الرّجل حماره عند باب أحد المنازل ويسمع صوت خرافه من مذود أحد البيوت. لكنّهم أعادوا له الحمار فقط ولم ينجح أبداً في الحصول على خرافه.

٣-٣. استخدام النّاس كدروع بشرية

كما جاء في الرواية، جاء ضابط إسرائيلي مع جنديين إلى مبنى سهر فأخذوا أبوسمير وثلاثة شبّان وشاب في الخامسة عشرة من عمره، معهم إلى مكان مجهول. لم يعرف أحد، حتّى المعتقلين، سبب ذلك. في ظهر اليوم التالي، تمّ إطلاق سراح أبي سمير وأصدقائه المعتقلين.حسب ما قاله أحد المعتقلين، كانت قوّات الاحتلال تستخدمهم كدروع بشرية في إحدى أزقّة نابلس.

٤-٣. الأمن

إنّ الأمن هو إحدى النعمتين اللتين يحرمهما الفلسطينيون، ولاسيّما الأطفال الفلسطينيون. ويبدو أنّ كاتبة الرواية ابتكرت شخصيّة صبيّ لدعد و هو بالغ من العمر عشر سنوات، لإظهار أمن الإمارات ومقارنتها بأمن فلسطين المحتلة. حسب ما في الرواية عندما تدرك دعد أنّه ليس لديهم خبز، ترسل إبنها إلى المتجر لشراء الخبز في الوقت الذي يقرب من منتصف الليل. عندئذ تقول سهر لدعد بفارغ الصبر: إنّها الآن الساعة الحادية عشرة ليلا والظلام قد غطّى كلّ شيء وأنت ترسلين الطفل إلى الشارع ؟! الخبز والشاي ليسا ضروريين.تدخل فريال الحديث وتقول: لا داعي للقلق. إنّه آمن هنا. والحمد لله، الأمن في مكانه.هنا لايوجد غزاة وانتفاضة.هذا فى وقت قد فقدت سهر ولدها أمام بيتها وهو في الخامسة من العمر.كان الطفل يلعب مع ابن عمّه أمام منزل جدّهما، بالقرب من مخيّم بلاطة، عندئذ أصابت رصاصة من رصاصات قوّات الاحتلال رئة الطفل.أخذه الناس إلى المستشفى وتمكّن الأطبّاء من علاج إحدى رئتيه؛ لكن لسوء الحظّ، فقد الطفل البائس إحدى رئتيه بفقدان وظيفتها.

كيف يمكن أن تكون سهر خائفة من خروج صبيّ يبلغ من العمر عشر سنوات إلى الشارع حتّى ترتجف يداها؟ تصف كاتبة الرواية حالة سهر على النحو التالي: «كان ارتباك الضيفة واضحاً من خلال رعشة يديها ورنّة صوتها وهي تقول: نحن تَعَوَّدْنا على الخوف من كلّ شيء» (نفس المرجع: ٤٤).

٥-٣. نقص الأسلحة والذخيرة

اعتقل الإسرائيليون سفينة تحمل الأسلحة إلى الأراضي المحتلة. احتفل الإسرائيليون بهذا الاعتقال.تقول دعد بعدما قرأت لخبر:ياريت نقدر نحصل على مثل هذه السّفينة يا حسرة علينا» (نفس المرجع: ٢٧) فتضيف سهر: أتّمنى أن نحصل على هذه السفن. من هذا الحديث القصير يتبيّن جيّداً أنّ المقاومة الفلسطينية كم تعاني من نقص الأسلحة و العتاد.وعندما تقول مها لسهر إنّ المقاومة ستقف في وجه الدّبابات الإسرائيلية إن شاء الله، تقول سهر على الفور :«إنّنا لا نملك جيشاً بل شرطةً محدودةَ العَدَد والعَتاد وأفرادُ فَصائلِ المقاومة لا يَمْلكون أَكْثَرَ مِنْ بضع رشّاشات خفيفة ..» (نفس المرجع: ٩٨).

٤.النتائج

من النتائج التي توصّل إليها هذا المقال هي:

صوّرت الكاتبة صمود الشعب الفلسيطيني المظلوم الباسل وشدّة تمسّكه وانتمائه إلى الوطن العربي الفلسطيني. في هذا المجال، شخصيّة «سهر» مثل أعلى وبارز للشعب الفلسيطني.إنّها سافرت إلى الإمارات المتحدة العربية وأصبحت بإمكانها أن تقيم فيها و تعمل في صالة التجميل وتحصل على الربح والريع ولكنّها ترجّحت في النهاية الرّجوع إلى نابلس لتشارك آلامها و بؤسها و مقاومتها؛ ثمّ شخصيّة «مها» التي كانت تنتمي إلى أسرة فلسطينية هي مثل أعلى للمنتمين و المنتميات إلى فلسطين المحتلّة الذين لمتنسوا فلسطين قطّ.

إنّ الكاتبة في هذه الرواية قد أكّدت على ما يعانيه الشعب الفلسطيني من مشاكل عديدة منها:

1. التفتيش المهين للرّجال و النّساء
2. سدّ الطّرق و عرقلة النقل
3. ضياع الوقت
4. استهلاك السيّارات
5. ضياع الأمن

6. استخدام النّاس الأبرياء كدروع بشريّة عند العجز أمام جنود المقاومة
7. نقص الأسلحة والعتاد للمقاومة أمام المحتلّين

وأخيراً يبدو أنّ الكاتبة تريد أن يستحثّ أنّه ليس من الضروري التجربة. إنّ بعض النّاس شكّكوا في التقارير الّتي وردت عن حالة الشعب الفلسطيني، لكنّهم ذهبوا ورأوا صحّتها. كما شكّكت مها وذهبت إلى نابلس ورأت صحّة ما كانت تسمع من سهر.

فهرس المراجع

الكتب

1. رزمجو، حسين، (١٣٨٢ش)، « ***انواع ادبي و آثار آن در زبان فارسي***»، الطبعة الأولى، مشهد المقدّسة: منشورات جامعة الفردوسي.
2. سنجري، محمّدرضا، (١٣٩٣ش)، «**من نتائج السّحر**»، الطبعة الأولى، طهران: منشورات سورة مهر.
3. عبدالهادي، سهاد، (٢٠٠٧م)، « **ذاكرة زيتونة**»، الطبعة الأولى، نابلس- فلسطين: دار الفاروق.
4. علوش، ناجي، (١٩٧١م)، «**المقاومة الفلسطينية: الواقع والتوقّعات**»، الطبعة الأولى، بيروت: صادر عن مجلّة دراسات عربية.
5. الكيّالي، عبدالوهاب، (١٩٧٣م)، «**المقاومة الفلسطينية و النضال العربي**»، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
6. مريدن، عزيزة، (١٩٨٠م)، « **القصّة و الرواية**»، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر العربي.
7. نجم، محمّديوسف، (١٩٧٩م)، «**فنّ القصّة**»، الطبعة السادسة، بيروت: دار الثقافة.
8. وادي، طه، (١٩٩٤م)، «**دراسات في نقد الرواية**»، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف.
9. يعقوب، إميل وبركة، بسّام، (١٩٨٧م)، «**قاموس المصطلحات اللغويّة و الأدبيّة**»، الطبعة الأولى، بيروت: دار الملايين.

المقالات و الأطروحات

10. شوندي، حسن و كريم، آزاده، (١٣٩٠ش)، «**رؤية إلى العناصر الروائيّة**»، فصليّة دراسات الأدب المعاصر، السنة ٣، العدد ١٠، الصفحات ٥٩- ٤٩
11. فرهنك‌نيا، امير و بورحمدانيا، علي، (١٤٤٠ق)، «**ملامح السخرية في رواية المتشائل لإميل حبيبي**»، آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ٢٢، العدد٢، الصفحات ١٩٢- ١٦٣
12. منصوري كليبر، نسرين و الزملاء، (١٤٠٢ش)، «**دراسة أدب المقاومة في أعمال الروائيّات الفلسطينية** (على أساس رواية ربيع الحارّ لسحر خليفه، رواية لغة الماء لعفاف خلف و ذاكرة زيتونة لسهاد عبدالهادي)»، تحت إشراف ناصر الحسيني و اردشير صدرالديني، رسالة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة آزاد الإسلامية في مهاباد.

چکیده فارسی

ادبیّات مقاومت معمولاً به آثاری اطلاق می‌شود که تحت تأثیر شرایطی مانند خفقان، استبداد داخلی، فقدان آزادی‌های فردی و اجتماعی، قانون گریزی، تعارض با قواعد قدرت، غصب قدرت، اموال و زمین به وجود می‌آید. این ادبیات خواهان مقابله با بی‌عدالتی و ظلم است، خواه سرچشمهٔ آنها داخلی باشد یا خارجی. شعر عربی در آن پیشتاز بود، تا این که به زودی رمان به عرصه آمد و با استقبال گسترده مردم مواجه شد، بنابراین، نویسندگان معاصر آن را وسیله‌ای برای تشویق به مقاومت و ایستادگی قرار دادند. زنان فلسطینی در نوشتن رمان‌های مقاومت فلسطین پیشرفت‌های چشمگیری داشتند. از ایشان می‌توان به سحر خلیفه، عفاف خلف و سهاد عونی عبدالهادی اشاره کرد. سهاد عبدالهادی رمان ذاکره زیتونه را که موضوع مقالهٔ حاضر است به رشتهٔ تحریر درآورد.

پژوهش حاضر که با روش توصیفی تحلیلی در بستر مطالعات کتابخانه‌ای انجام گرفته در صدد پاسخگویی به این پرسش است که رمان ذاکره زیتونه چگونه و کدام مؤلفه‌های ادبیات مقاومت فلسطینی را بازتاب داده است؟ بر اساس نتایج این پژوهش، نویسنده در توصیف غارت اموال مردم فلسطین وایجاد رعب و وحشت توسّط صهیونیست‌ها و نیز کمبود سلاح برای دفاع از مردم و سرزمین فلسطین، موفّق عمل کرده است.

کلیدواژه‌ها: ادبیات عربی، رمان، ادبیات پایداری، سهاد عبدالهادی، ذاکره زیتونه.

Abstract
Resistance literature is usually referred to works that are influenced by conditions such as suffocation, internal tyranny, lack of individual and social freedoms, lawlessness, conflict with the rules of power, usurpation of power, property and land. This literature wants to confront injustice and oppression, whether their origin is domestic or foreign. Arabic poetry was the leader in it, until soon the novel appeared and was widely welcomed by the people, so contemporary writers made it a means of encouraging resistance and standing. Palestinian women have made significant progress in writing Palestinian resistance novels. Among them, we can mention Sahar Khalifa, Afaf Khalaf and Sohad Auni Abdul Hadi. Sohad Abdul Hadi has written the novel Zakira Zaitoune, which is the subject of this article.
The current research, which was carried out with a descriptive and analytical method in the context of library studies, aims to answer the question of how and which components of the Palestinian resistance literature have been reflected in the novel Zakira Zaitouneh? Based on the results of this research, the author has been successful in describing the looting of people's property and the creation of terror by the Zionists, as well as the lack of weapons to defend the people and the land of Palestine.
Keywords: Arabic literature, novel, sustainable literature, Sohad Abdul Hadi, Zakira Zaitouneh.